

## الخوف من العلم ومصير الثورة الزراعية

جون اينتين

مركز اميريكان انتربرايز

22 يوليو 2010

### Will Science-Phobia Kill the Green Revolution

By Jon Entine

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارثي (alharis.a@gmail.com)

- باحث في مركز اميريكان انتربرايز (AEI).
- حائز على جوائز في مجال الإنتاج التلفزيوني.
- إجازة في الفلسفة والدين، كلية ترينيتي.

جون اينتين

تكفي نظرة واحدة إلى أزمة الجوع في هايتي لنعرف كيف انحدر الجدل حول الابتكار والتكنولوجيا في مجال الزراعة إلى حوار هزلي. ففي أوائل مايو الماضي بدأت بوادر شحنتين (135 طناً) من البذور المهجنة (ذرة، ملفوف، جزر، باذنجان، شمام، بصل، سبانخ، طماطم، بطيخ) بالوصول إلى هايتي، حيث كانت الدفعة الأولى من 60 ألف كيس بذور (تتجاوز قيمتها 4 ملايين دولار) ذات إنتاجية عالية تم التبرع بها بعد أشهر من المفاوضات الحذرة مع الحكومة والخبراء الزراعيين الدوليين.

ولا تكفي عبارة «الحاجة الماسة» لهذه التبرعات للتعبير عن واقع الحال في هايتي؛ إذ تشير أرقام الأمم المتحدة إلى أن 38 ألف طفل يموتون سنوياً جراء سوء التغذية هناك. أي: واحد من كل ثلاثة أطفال. كما إن نصف السكان يعيشون بدخل يقل عن دولار واحد يومياً؛ ولكن هذا كله لم يمنع بعض المجموعات الاستشارية في الولايات المتحدة وأوروبا من القول بأن هذه المعونات لم تكن إلا مؤامرة رأسمالية خبيثة: فقد هبت مجموعات الفلاحين الهايتيين، وبتوجيه من سادتهم في بروكلين (نيويورك) وصلاتهم العميقة بالمنظمات غير الحكومية العالمية، وطافت شوارع العاصمة الهايتية بورتو برينس في ظل لافتات كتب عليها «تسقط البذور المعدلة وراثياً (GMO) والبذور المهجنة». وهددت بإحراق هذه المعونات.

## الخوف من العلم ومصير الثورة الزراعية

كان المشهد غريباً؛ فالبذور المعدلة وراثياً لا تزال محل جدل لكنها لم ترسل إلى هاييتي. ولم تطلبها الحكومة الهايتية أو تفكر فيها. وما أرسل من بذور لم يكن إلا بذوراً مهجنة ترجع تقنيات تهجينها إلى عصر رائد علم الوراثة غريغور مندل في القرن التاسع عشر؛ وهي تتمتع بإنتاجية عالية بالمقارنة مع البذور العادية. وذلك دون الحاجة إلى سماد؛ وهنا يبرز السؤال التالي: ماذا يمكن أن يكون الجانب السلبي الذي أغضب الهاييتيين؟

مما يؤسف له أن فقراء العالم يقعون غالباً فريسة لحرب شرسة غير معلنة تدور رحاها حول مستقبل الغذاء العالمي ومستقبل سوء التغذية؛ حيث تشير أرقام البنك الدولي إلى أن حوالي ثلاثة أرباع الـ(820) مليون شخص الذين يعيشون في فقر مدقع يعتمدون على الزراعة كوسيلة لتأمين المعيشة؛ إذن: كيف يجب علينا كمجتمع أن نستجيب إزاء أزمة تتصف بهذا التفاوت المخيف؟

ليس هنالك إلا رؤية واحدة تطرحها جموع المعارضين الهاييتيين الذين توجههم حركة مزارعي باباي (Peasant Movement of Papaye) في نيويورك؛ فهم يريدون تبني حل «مستديم» يقوم على تقنيات عضوية؛ وهذه الحركة تعمل بتنسيق خفي مع منظمة السلام الأخضر وجمعية المستهلكين العضويين وغيرها من المجموعات ذات المصلحة. والتي تقف موقفاً صلباً ضد أي تقنية يمكنها زيادة الإنتاجية؛ وهم يرون هذه المعونات كحصان طروادة يراد منه تحويل المزارعين من الزراعة العضوية التي شكلت كارثة بسبب عدم مقاومتها للجفاف المستمر. إلى التقنيات الزراعية «الصناعية»؛ فهم يزعمون أن مشكلات الزراعة الهايتية ليست داخلية المنشأ وإنما مفروضة من الخارج. وأنها ناتجة عن «التجارة الأمريكية وسياساتها في تقديم المعونات التي أدت إلى تدمير قدرة الهاييتيين على إطعام أنفسهم» وذلك بحسب اتهامات معهد الدراسات السياسية (Institute for Policy Studies) في أوائل يوليو الجاري. والتي وردت في رسالة مفتوحة إلى شركة مونسانتو (Monsanto) التي تبرعت بالحبوب؛ فهذه الشركة تمثل في رأي المعهد

## الخوف من العلم ومصير الثورة الزراعية

شيطانا و«عضوا مؤسساً في التكتل الصناعي الزراعي». وأن هذه الحبوب ليست إلا «هجوماً عنيفاً على الزراعات الصغيرة. وعلى الفلاحين. وعلى التنوع الحيوي».

يبدو أن هؤلاء المحتجين والمنظمات غير الحكومية التي تدفعهم لا يزالون أسرى الماضي. وفي عام 1960 تقريباً؛ فقبل ما يقرب من نصف قرن بدأ العالم يحصد ثماراً هائلة «للثورة الزراعية» التي ركزت على الاستثمار الموجه لأنواع مخصصة من المواد الكيميائية والأسمدة ووسائل الري المتقدمة والآلات الزراعية ومحاصيل محسنة لتحقيق قفزات في مجال تحسين الإنتاجية والمحتوى الغذائي للمحاصيل. وقد أدت الابتكارات الجديدة. كالأترازين (Atrazine). وهو مبيد أعشاب فعال في السيطرة على مشكلة نقص الإنتاجية بسبب الأعشاب وآمن إلى حد إمكانية استعماله للبراعم الخضراء. إلى التوجه نحو ثورة (الاحصاد) التي قللت من انجراف التربة وانبعاث الغازات الناتجة عن آليات الحصاد. وما حدث من تقدم في التكنولوجيا الحيوية الزراعية قدم لنا الفرصة لتوسيع هذه المكتسبات.

وتعد مؤسسة بيل وميلندا غيتس (Bill and Melinda Gates Foundation) المرموقة من ضمن مجموعات الدعم الأكثر التصاقاً بالبعد الاجتماعي لأزمة هاييتي. حيث ساهمت في إجمالي الدعم الذي وصل حتى الآن إلى (1.5 مليار دولار) تعهدت بتقديمها في مجال التنمية الزراعية. وذلك مع الانتباه إلى اعتناق هذه المجموعات لمبدأ الاعتماد على العلم والتكنولوجيا كطريق إلى تقدم الإنتاجية؛ حيث صرحت مؤسسة (غيتس) أنها تقوم «باستكشاف جوانب تنمية طيف متنوع من المحاصيل التي يمكنها أن تنمو على نحو جيد في أنواع مختلفة من التربة. وأن تقاوم الجفاف والأمراض والحشرات... إن شركاءنا يوظفون طيفا من الأدوات والتقنيات. من الاستيلاد التقليدي إلى أحدث تقنيات التكنولوجيا الحيوية. وذلك في البحث عن حلول لمساعدة صغار المزارعين».

إن الاستعمال الحكيم للمواد الكيميائية الزراعية كالأترازين والغليفوسيت (glyphosate). والبذور المهجنة المطورة. ومنتجات التكنولوجيا الحيوية. يمثل عاملاً

## الخوف من العلم ومصير الثورة الزراعية

أساسيا في عملية حشد كافة الأدوات المتاحة لرفع حصيلة المحصول ومكافحة الجوع. وبينما تداول الإعلام الغربي قصصا عن احتجاجات هاييتي فقد اتبعت وزارة الزراعة الهاييتية مسارا عقلانيا هادئا تمثل في إعلان موقفها أمام مواطنيها الجائعين. فشكرت «التبرع السخي» من بذور الذرة والخضراوات التي «تم فحصها مسبقا في هاييتي ولاقت قبولا جيدا من المزارعين». وإن كانت حملة الترهيب قد حاولت إعاقة مشروع المساعدات. فمن الواضح أن العلم قد انتصر في الوقت الراهن على الأقل.

لا شك في أن هذه الحادثة لم تكن إلا آخر اشتباك في حرب مستمرة: ويصب في هذا المجال ما صرح به بيل غيتس خلال خطابه في تقديم جائزة الغذاء العالمية في الخريف الماضي. حيث قال: «إن هذا الجهد العالمي لمساعدة صغار المزارعين يواجه تهديدا ايدولوجيا يهدد بشطر الحركة [الساعية إلى معالجة مشكلة الجوع العالمي] إلى قسامين؛ فمن ينتقد الابتكار يقدم لنا «خيارا مزيفا» ما بين المقاربة «التكنولوجية» الموجهة نحو تعزيز الإنتاجية وما بين ما يدعى المقاربة «البيئية» التي تركز على الاستدامة؛ لكننا «قادرين على امتلاك كلا الخيارين».

إن العلاقة المتبادلة ما بين التكنولوجيا والإنتاجية من جهة. والاستدامة من جهة أخرى. لا تتبع معادلة «الغالب والمغلوب»؛ وفقراء العالم ليسوا متفرغين للانشغال بممارسة الألعاب الايديولوجية التي تهيمن على السياسات الغربية. وأسوأ أنواع الامبريالية هو إلقاء من يعانون سوء التغذية في هاوية المجاعة إرضاء لآراء زراعية رومانسية.